

تعريف الدين الإسلامي

<"xml encoding="UTF-8?>



هو الدين الذي بُعث به الرسول محمد سنة 610 م في مكة في شبه الجزيرة العربية، وهو الدين الذي اشتمل على الشريعة النهائية والأخيرة الناسخة للشريعة الإلهية السابقة، كما أن صاحب الرسالة الإسلامية هو آخر الأنبياء والمرسلين (ص)، فلا نبي بعده.

جاء الإسلام والنظام القبلي مهيمن على الحياة الاجتماعية ، واقتصاديا كانت القبائل تهتم بتربية الماشية إلى جانب التجارة.

كانت الجزيرة العربية قبل ظهور الإسلام مجموعة من القبائل العربية والبدو الرحل ينتظرون في قبائل. وبعد الولادة للقبيلة وتحالفاتها الأساسية في تنظيم المجتمع العربي (مفهوم العصبية). كانت الغالبية العظمى تدين في مكة بالوثنية إضافة لليهودية في يثرب والمسيحية في نجران و نجد ، وكانت مكة مركزا دينيا يؤمها العرب من كل صوب لأداء الحج إلى البيت الحرام الذي بناه إبراهيم.

كانت الخريطة السياسية قد تشكلت حول شبه الجزيرة العربية بين روما المسيحية و بلاد فارس و كانت القبائل العربية التي هاجرت إلى حدود تلك الدولتين قد لعبت دورا هاما في هذا التشكيل و ما رافقه من صراع لكنها في نفس الوقت لعبت دورا هاما للغاية كصلة بين هذا العالم المتاخر و ما يدور داخل شبه الجزيرة نفسها..كانت قبائل شبه الجزيرة تعرف نفسها بناء على الإرث اليهودي – المسيحي خاصة فيما يتعلق بأنساب الشعوب كانت تعتبر نفسها من سلالة إسماعيل بن إبراهيم و نعرف أن قصة هجرة إسماعيل قد دمجت مع قصة بناء مكة و معها الكعبة و أن جزءا هاما من طقوس الحج التي كانت تمارس في ما يسمى الجاهلية السابقة على الإسلام و التي أقرها الإسلام كانت ترتبط بهذه الحادثة ذاتها..لكن الصدام و التواصل الحقيقي بين قبائل شبه الجزيرة و الأديان السائدة المرتبطة بالكيانات السياسية القائمة جرى في اليمن جنوب شبه الجزيرة هذه المنطقة الأكثر تحضرا و التي شهدت المحاولات الأولى لتشكيل كتلة سياسية قد تكون نواة لفعل تاريخي جدي.

وكانت الخرافات عن ملوك اليمن (الذين سموا بالتبع) و التي تصل بهم إلى غزو الهند و أفريقيا و حتى الصين

دليلًا على مكانة اليمن في ذلك الوقت بالنسبة للعرب و على الأهمية الخاصة التي اعتقدت قبائل شبه الجزيرة أن اليمن مخولة للقيام بهذا الدور التاريخي كانت اليمن منقسمة إلى قبائل تسمى مخالفات أكبرها مخلاف صنعاء و الذي كان رؤساؤه يسمون بالملوك أما إذا كانت قوة ذلك الملك بحيث يتمكن من مد سلطانه إلى منطقة حضرموت فكان يسمى عندها تبعاً و مع تراجع تلك القوة تعود الأمور لسابق عهدها من التفكك السياسي.

لذا كان لابد من أحداث يعتقد أنها كانت حافزاً لقيام "دين محلي" في مواجهة الأديان الرسمية لكل من روما و فارس و التي كان انتشارها يعني أيضاً انتشار النفوذ السياسي لهاتين الإمبراطوريتين.. تبدأ القصة مع الملك الذي دان باليهودية ذي نواس (يوسف بن شراحيل) الذي بلغه أن بعض رعيته في نجران قد دانوا بالدين المسيحي فقام ذو نواس بحرقهم بالنار كما ورد في قصة أصحاب الأخدود في القرآن التي نجد فيها تعاطفاً صريحاً مع الصحايا المسيحيين.

لما وصل الخبر إلى الإمبراطور الروماني جوستين أمر حليفه صاحب الحبشة المسيحي أن ينتقم من ذي نواس فبعث إليه قائداً حبشاً اسمه أرياط تغلب على ذي نواس الذي أغرق نفسه في البحر ثم تمكن أبرهة من أن يتولى قيادة الجيش الحبشي في اليمن بعد انقلابه على أرياط.

حاول أحد ملوك اليمن الذي سيصبح فيما بعد من أبطال السير الشعبية و هو سيف بن ذي يزن الحميري الثورة على الأحباش فطلب العون من إمبراطور الروم دون فائدة فلجاً إلى كسرى ملك الفرس الذي وعده خيراً فمات قبل أن يقوم بثورته ثم عاود ابنه معد يكرب استناداً إلى كسرى فمده بجيش تمكن من طرد الأحباش و بعد موت معد يكرب نصب عليها حاكماً فارسياً حتى بعثة الرسول.

كان للعرب وقتها عدة بيوت للأصنام منها اللات في الطائف و بيت ذي الخلصة و غيرها لكن أهمها طبعاً كانت الكعبة في مكة.

أراد أبرهة أن يفرض المسيحية على العرب و يقضي على عبادة الأصنام فبني القليس في صنعاء و هي كنيسة "لم ير لها مثيل في زمانها" و قرر أن يتوجه لهدم الكعبة فتغلب في طريقه إليها على مجموعة من أهل اليمن حاولت مقاومته ثم هزم قبيلة خثعم وأهل الطائف فهادنوه و أرسلوا معه أبو رغال ليidle على الطريق (و قبر هذا الأخير كانت العرب تترجمه بالحجارة).

في مكة نفسها قرر عبد المطلب ألا يواجه أبرهة و اكتفى بأن وكل أمر البيت إلى ربه.

تذكر هذه الحادثة في القرآن على نحو يستنكر محاولة أبرهة لهدم الكعبة و هي محاولة لفرض ديانة توحيدية اعترف بها الإسلام فيما بعد و لهدم الأصنام التي أراد الإسلام هدمها لكنها أيضاً كانت محاولة للسيطرة على قلب الجزيرة العربية بهذه الطريقة المعروفة في التاريخ للتوسيع الإقليمي : نشر الدين السائد في الإمبراطورية الغازية هذا كرر العرب المسلمين أنفسهم فيما بعد.

ونعرف جميعاً نتيجة هذه المحاولة لكن الأهم من النتيجة هنا هو أن القبائل في شبه الجزيرة أحسنت في خضم مواجهة مباشرة مع قوة خارجية قوية جاءت تحمل رغبة صريحة بالسيطرة عليها من خلال دعوة دينية توحيدية

خاصة بعد الأحداث التي تعرضت لها اليمن في صراعها مع القوى الأجنبية كانت أمام سؤال هويتها الأساسية الذي كان يقوم في نظرها على الإرث المسيحي اليهودي لكنه في نفس الوقت الذي لم يجد أن الانضواء تحت أي من المسيحية أو اليهودية سوى أن يكون في أفضل الأحوال تعبيراً عن التبعية السياسية وبالتالي الاقتصادية.

لهذا سنجد تشديداً في الدعوة الإسلامية أولاً على اعتبارها متابعة وتطوير للإرث اليهودي المسيحي لكنها ثانياً ذات طبيعة متمايزة من جهة و من جهة أخرى تستوعبها و تطالبتها بالالتحاق بها لا أن تلتحق هي بها.

كان هناك مجموعة من المتنورين الذين رفضوا عبادة الأوثان لكنهم بحثوا عن البديل في المنظومات الفكرية الدينية السائدة يومها فتنصر ورقة بن نوفل و عثمان بن الحويرث أما عبيد الله بن جحش فأسلم و هاجر إلى الحبشة و اعتنق هناك المسيحية أما زيد بن عمرو بن نفيل فقد اعزّل قومه و عبادة الأوثان و امتنع في نفس الوقت عن الدخول في المسيحية أو اليهودية.

وكانت كهان العرب و ذوو الأساجع منهم يقولون بقرب ظهور النبي و كان بعض المشتغلين بالأديان و الكهان يبشرون بقدوم النبي و يقال أن سلمان الفارسي هاجر إلى شبه الجزيرة العربية لما سمعه من قرب خروج النبي فيها كما كان اليهود ينتظرون منذ نفيهم من فلسطين نبياً يعيد توحيدهم و ينقذهم من الشتات و هذا ما يجد التعبير عنه في سيرة الرسول في حادثة الراهن بحيري.

ولهذا عندما أعلن الرسول نبوته لأهل مكة خطابهم قائلاً : ”إن الذي أنتم عليه ليس لله ولا من الله و لا يرضاه الله قولوا : لا إله إلا الله و اشهدوا أنني رسوله و اتبعوني تعظكم العرب و تملكون العجم و إن الله قال لي : استخرجهم كما استخرجوك و ابعث جيشاً أبعث خمسة أمثاله و ضمن لي أن ينصرني بقوم منكم و قال لي : قاتل بمن أطاعك من عصاك و ضمن لي أنه يغلب سلطاني سلطان كسرى و قيصر.

في هذا الجو ظهر النبي محمد (ص) ليجهر بالإسلام، وكان أهم تأثير سياسي للإسلام أنه استطاع إقامة دولة في المدينة المنورة يسودها تشريع يحكم الجميع، ووثائق ومعاهدات مع يهود يثرب الذين كانوا يسكنون المدينة.

لاحقاً استطاع المسلمون هزم المشركين في عدة معارك وفتحت مكة قبل وفاة رسول الله (ص) بعامين فحطمت أوثان العرب التي كانت موجودة في الكعبة وأعلن التوحيد.

التوحيد الذي جاء به الإسلام لم يكن دينياً روحيًا فقط بل كان أيضاً اجتماعياً سياسياً، فالجزيرة العربية كلها دخلت في عقيدة واحدة وأصبح لها كيان واحد وقبلة واحدة وإله واحد هو الله، في حين ضعفت العصبيات القبلية والمطامع المادية في تلك الفترة مؤقتاً قبل أن تعود للظهور بعد أن حقق المسلمون انتصارات مهمة لإسقاط دولة الساسانيين وفتح بلاد الشام.

الإسلام هو دين إلهي توحيد إبراهيمي، يعتقد أتباعه بإله واحد لا شريك له ومنزه عن كل نقص، وبنبوة النبي محمد (ص) الذي أرسله الله بدین الإسلام، كما يعتقد المسلمون أن القرآن الكريم هو الكتاب الذي يضم ما أوحى به الله إلى رسوله محمد (ص).

كلمة الإسلام مشتقة من مادة (س-ل-م)، والمادة تدل على معنى الصحة والعافية فالسلامة أن يسلم الإنسان

من العاهة والأذى، وتستخدم كلمة الإسلام بمعنى تسليم الأمر إلى الله تعالى.

وكلام أهل البيت (عليهم السلام) في المسألة الذي يُستفاد من الروايات الواردة عن الأئمة الأطهار (عليهم السلام) وجود نوع من الاختلاف فيما بين مفهوم الإيمان ومفهوم الإسلام فالإيمان هو : التصديق القلبي الذي ينعقد في قرارة النفس ، وهو أعلى رتبة من الإسلام ، في حين أنّ الإسلام هو : التشهّد بالشهادتين لساناً والعمل بالشرع ظاهراً .

ففي رواية عن الإمام الصادق (ع) في مقام التفريق بين الإيمان والإسلام يقول فيها الإمام (ع) : « الإسلام هو الظاهر الذي عليه الناس : شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأنّ محمداً عبده ورسوله ، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وحجّ البيت وصيام شهر رمضان فهذا الإسلام .

أما الإيمان معرفة هذا الأمر مع هذا ، فإنّ أقرّ بها ولم يعرف هذا الأمر كان مسلماً وكان ضالاً (1).

وعن سماعه قال : « قلت لأبي عبد الله (ع) : أخبرني عن الإسلام والإيمان أهما مختلفان ؟

فقال : إنّ الإيمان يشارك الإسلام والإسلام لا يشارك الإيمان .

فقلت : فصفهما لي .

فقال : الإسلام شهادة أن لا إله إلا الله والتصديق برسول الله (ص) ، به حقنت الدماء وعليه جرت المناكح والمواريث وعلى ظاهره جماعة الناس . والإيمان : الهدى وما يثبت في القلوب من صفة الإسلام وما ظهر من العمل به .

والإيمان أرفع من الإسلام بدرجة ، إنّ الإيمان يشارك الإسلام في الظاهر والإسلام لا يشارك الإيمان في الباطن وإن اجتمعا في القول والصفة(2).

وعن محمد بن مسلم ، عن أحدهما (عليهما السلام) ، قال : « الإيمان إقرار وعمل ، والإسلام إقرار بلا عمل (3).

وفي رواية عن الإمام الباقر (ع) في مقام تفسير الآية الرابعة عشر من سورة الحجرات في ما يتعلّق بقبول إسلام أهل البدية لا إيمانهم .

عن أبي بصير ، عن أبي جعفر (ع) ، قال : « سمعته يقول: (قَالَتِ الْأَغْرَابُ آمَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانَ فِي قُلُوبِكُمْ) فمن زعم أنّهم آمنوا فقد كذب ومن زعم أنّهم لم يسلموا فقد كذب (4).

فالثمرة التي يمكن أن نحصل عليها من التمييز بين الإيمان والإسلام تظهر في فرض عدم وجود الإيمان القلبي ، فالإسلام الظاهري يكون كافياً في عذر الشخص مسلماً والتعامل معه على أنه من المسلمين ، وبناءً على هذا فإنه يمكن تصوّر وجود المسلم الفاقد للإيمان والعكس غير صحيح ؛ لأنّ كلّ مؤمن لا بدّ أن يكون مسلماً في الواقع لكن ليس شرطاً أن يكون كلّ مسلم مؤمناً .

وهذا هو مضمون الروايات الواردة عن أهل البيت (عليهم السلام) في هذا الشأن . والإمام الباقر (ع) يحاول بيان المسألة بصورة أوضح وذلك حينما قال (ع) :

«مثلا الإيمان من الإسلام مثل الكعبة الحرام من الحرم ، قد يكون الرجل في الحرم ولا يكون في الكعبة ، ولا يكون في الكعبة حتى يكون في الحرم ، وقد يكون مسلماً ولا يكون مؤمناً ، ولا يكون مؤمناً حتى يكون مسلماً (5).»

وبناءً على ذلك يخرج الإنسان المذنب من حدود دائرة الإيمان بمجرد ارتكابه للذنب لكنه يبقى ضمن حدود دائرة الإسلام .

وللإمام الصادق (ع) في هذا الخصوص بحث جاء ضمن رسالته الجوابية على سؤال (عبد الرحيم قصير) ، فقد كتب يقول : « الإيمان هو : الإقرار باللسان وعقد في القلب وعمل بالأركان ، والإيمان بعضه من بعض ، وهو دارٌ وكذلك الإسلام دارٌ والكفر دارٌ ؛ فقد يكون العبد مسلماً قبل أن يكون مؤمناً ولا يكون مؤمناً حتى يكون مسلماً ، فالإسلام قبل الإيمان وهو يُشارك بالإيمان ؛ فإذا أتى العبد كبيرة من كبائر المعااصي أو صغيرة من صغائر المعااصي التي نهى الله عزّ وجلّ عنها كان خارجاً من الإيمان ، ساقطاً عنه اسم الإيمان وثبتناً عليه اسم الإسلام ، فإن تاب واستغفر عاد إلى دار الإيمان ولا يخرجه إلى الكفر إلا الجحود والاستحلال ، أن يقول للحلال : هذا حرام ، وللحرام : هذا حلال ، ودان ذلك فعندها يكون خارجاً من الإسلام والإيمان داخلاً في الكفر ، وكان منزلة من دخل الحرم ثم دخل الكعبة وأحدث في الكعبة حدثاً فأخرج عن الكعبة وعن الحرم فضررت عُنْقَه وصار إلى النار (6).»

هذا المقدار من التفاوت بين الإيمان والإسلام لا يتعارض مع ما يعتقد به المرجئة في خصوص مرتكب الكبيرة ؛ حيث إنّ المرجئة يعتقدون بأنّ مجرد ارتكاب الكبيرة لا يكون موجباً لإطلاق لفظ الكافر على مرتكبها ، بل هو لا يزال مؤمناً أو على الأقل القول بإسلامه .

بناءً على هذا فإنّه لا يوجد تعارض بين ما يقول به المرجئة في خصوص الجزء الأول - عدم اعتبار مرتكب الكبيرة كافراً - وبين ما ذكرناه من الفصل بين الإيمان والإسلام .

فمثل هذا التفصيل يحمل في طياته معنىًّا دقيقاً ، وذلك لأنّ من خلاله يتم تحديد موقعية الفرد المتدين ضمن دائرة الدين ؛ فكلّ فرد يمكن أن يكون مؤمناً ومسلمًا في نفس الوقت ، ويمكن أن يكون الإيمان لم يدخل قلبه بعد ، لكنه في الظاهر يعمل وفقاً لما ي命ّيه الشرع عليه .

وبعبارة أخرى ، أنّ الأئمة (عليهم السلام) بالرغم من قبولهم بإسلام مرتكب الكبيرة إلا أنّهم لم يكونوا مستعدّين لإطلاق لفظ المؤمن عليه لأنّ الإيمان هو عبارة عن الاعتقاد القلبي المرتكز في قراره النفس ، ولعلّ إطلاق كلمة المؤمن على مرتكب الكبيرة سوف يؤدي إلى هتك حرمة الإيمان بمرور الزمن .

هذا وقد جاء في إحدى الروايات أنّ أبا حنيفة وبعضاً من أنصاره من المرجئة أمثال عمر بن قيس الماصر وعمر بن ذرّ ذهبوا عند الإمام الصادق (ع) واخذوا يسألونه فيما يتعلق بالإيمان ، قال الإمام (ع) نقلأً عن رسول الله (ص) : « لا يزني الزاني وهو مؤمن ولا يسرق وهو مؤمن ولا يشرب الخمر وهو مؤمن » عندها سأله عمر بن ذرّ : بِمِ نسمّيهم ؟ قال (ع) : بما سماهم الله وبأعمالهم ، قال الله عزّ وجلّ عنهم : السارق والزاني (7).»

بناءً على هذا ، يمكن ان نعتبر أنّ رأي الأئمّة (عليهم السلام) يتعارض مع ما يرتبه المرجئة فيما لو وصل الأمر إلى الحفاظ على حرمة الإيمان ، لكن وكما مرّ فإنّ الأئمّة (عليهم السلام) يقولون بإسلام هكذا أشخاص .

هذا وإنّ الأئمّة الأطهار (عليهم السلام) بالرغم من قبولهم بعدم تكثير مرتکب الكبيرة ، فإنّ الكفر لا يتحقق إلا بالجحود ، إلا أنّهم (عليهم السلام) لم يقبلوا النتيجة التي توصل إليها المرجئة من أنّ الإيمان أو الإسلام لا يقبل الزيادة والنقصان وإنّه أمر ثابت . بل إنّ الإيمان في الحقيقة من المفاهيم التي تقبل الزيادة والنقصان ، وقد أشار الأئمّة (عليهم السلام) إلى هذا المعنى في العديد من الروايات (8).

وقد استهدف الإسلام قبل كل شيء ربط الإنسان بالإله الواحد الحق الذي تشير إليه الفطرة، وأكد وحدة الإله وشدد على ذلك لكي يقضي على كل ألوان التأله المصطنع، ويُشار إلى هذه الفكرة بأصل "التوحيد" الذي تشير إليه عبارة (لا إله إلا الله)؛ شعار الإسلام الرئيسي.

ويقول السيد الطباطبائي: أنّ الإسلام يسمى إسلاماً، لما فيه من تسليم العبد لإرادة الله سبحانه.

استمرّت الدعوة إلى الإسلام من بعد النبي (ص) على أيدي إثنين عشر إماماً منصوصاً عليهم، وفي غياب الإمام الثاني عشر جاء دور العلماء والفقهاء ليُمارسوا دورهم كورثة للأنبياء والأوصياء، إلى أن يظهر الإمام الثاني عشر الحجّة ابن الحسن (ع).

-
1. الكافي 2/25.
 2. الكافي 2/25.
 3. الكافي 2/24.
 4. الكافي 2/25.
 5. الكافي 2 / 27 - 28 ، معاني الأخبار : 186 .
 6. الكافي 2 / 27 - 28 .
 7. أمالی المفيد : 22 ، وذكرت الروایة ناقصة في الكافي 2 / 285 ، بحار الأنوار 66 / 63 .
 8. الكافي 2 / 34 .